بن رقرق سعيدة، عويبر عيسى

التدخل العسكري الروسي في سوريا: المسوغات الجيوبوليتيكية و التداعيات

الملخص:

تتناول هذه الدراسة التدخل العسكري الروسي في سوريا:من خلال التطرق للأهمية الجيوبوليتيكية لسوريا في المدرك الاستراتيجي الروسي ، كذلك التركيز على المسوغات و التبريرات الجيوبوليتيكية الروسية لهذا التدخل، و تداعياته على المستوى المحلي و الإقليمي و العالمي .و هذا لأهمية عودة روسيا للساحة الدولية و منطقة الشرق الأوسط التي تعتبرها الحديقة الخلفية لها ، هذه العودة التي جاءت عبر البوابة السورية .

و خلصت الدراسة إلى أن التدخل الروسي غير المعادلة على الأرض لصالح النظام السوري ، و أحدث تداعيات على القوى الإقليمية المنخرطة في النزاع ، كما أسس لهيكلة نظام دولي جديد في إطار التشكل.

الكلمات المفتاحية: سوريا؛ روسيا؛ الجيوبوليتيكا؛ التدخل العسكري.

Benregreg Saida, aouiber aissa.

RUSSIAN MILITARY INTERVENTION IN SYRIA: GEOPOLITICAL JUSTICIATIONS AND CONSEQUENCES

Abstract:

This study examines the Russian military intervention in Syria by examining the geopolitical importance of Syria in the Russian strategic perception, as well as focusing on the Russian geopolitical justifications for this intervention, and its implications at the local, regional and global levels.

This is due to the importance of Russia's return to the international arena, and the Middle East, which it considers to be its back garden, this return that came through the Syrian gate.

The study concluded that Russian intervention is not equal on the ground in favor of the Syrian regime, and has had repercussions on the regional powers involved in the conflict, as well as the foundations for structuring a new international order within the framework of formation.

Key words: Syria, Russia, Geopolitics, military intervention

التدخل العسكري الروسي في سوريا: المسوغات الجيوبوليتيكية و التداعيات

RUSSIAN MILITARY INTERVENTION IN SYRIA: GEOPOLITICAL JUSTICIATIONS AND CONSEQUENCES

بن رقرق سعيدة(*)

طالبة دكتوراه، جامعة باتنة1

عويبر عيسى (**)

طالب دكتوراه، جامعة سطيف 2

مقدمة:

عرفت بداية العشرية الثانية من الألفية الثالثة اهتزازات عميقة مست العديد من الدول العربية فيما عرف بالربيع العربي منذ نهاية 2010 فكانت البداية من تونس ثم مصر واليمن والبحرين وسوريا هذه الأخيرة التي أخذت فيها الأحداث منحا آخر؛ بسبب الموقع الجيوبوليتيكي ، والمصالح الحيوية للدول المحيطة بالجوار الجغرافي السوري أو البعيدة جغرافيا القريبة من ناحية المصلحة القومية ، فقد تطورت المظاهرات في سوريا إلى أزمة داخلية وتحولت بفعل الأطراف الداخلية والخارجية إلى نزاع متعدد الأطراف، حيث حاولت كل دولة من القوى الطامحة في سوريا اتباع استراتيجية تحت أي مسمى سواء التدخل لحماية الدولة من الإنهيار والتجزئة وحماية حقوق الإنسان أو محاربة الجماعات الإرهابية ،ومن بين الدول التي تدخلت عسكريا في سوريا، وكان لتدخلها تداعيات محليا وإقليميا وعالميا؛ روسيا هذه الأخيرة التي تعتبر سوريا ومنطقة

(*)البريد الإلكتروني: Saida.benregreg@univ-batna.dz

(**)البريد الإلكتروني: «Aouiber2018@gmail.com »

الشرق الأوسط ككل الحديقة الخلفية لها، كما أنها تبحث لها عن مكانة في عالم متعدد الأقطاب تسعى لتشكيله، ولدراسة هذا الموضوع نطرح الإشكالية التالية: ما مدى تأثير المعطيات الجيوبوليتيكية على التدخل العسكري الروسي في سوريا وما هي تداعياته؟ ولتفكيك هذه الإشكالية نحاول طرح الأسئلة الفرعية التالية:

ماهي الأهمية الجيوبوليتيكية التي تكتسيها سوريا بالنسبة لروسيا؟

ماهي مسارات التدخل العسكري الروسي في سوريا؟

ماهي تداعيات التدخل العسكري الروسي محليا، إقليميا وعالميا؟

ونحاول في هذه الدراسة إثبات صحة الفرضية التالية: تعتبر الأهمية الجيوبوليتيكية لسوريا والمصلحة القومية الروسية أهم دوافع التدخل العسكري الروسي في سوريا.

و للإجابة على هذه الإشكالية نقسم الدراسة إلى ثلاث مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: سوريا الموقع والأهمية الجيوبوليتيكية

المبحث الثاني: دو افع التدخل الروسي في سوريا ومساراته

المبحث الثالث: تداعيات التدخل العسكري في سوريا

المبحث الأول : سوريا الموقع و الأهمية الجيوبوليتيكية

تعتبر الأهمية الجيوبوليتيكية لأي دولة محدد لسياستها الخارجية . كما للاستراتيجيات الدولية تجاهها، و لهذا مثل الموقع الجغرافي لسوري مركز جذب و استقطاب للقوى الكبرى ، و هذا ما سنحاول التطرق إليه في هذا المبحث عبر البحث في جيوبوليتيكا سوريا.

المطلب الأول: موقع سوريا في نظريات الجيوبوليتيكا العالمية: تحتل سوريا موقعا استراتيجيا حيث تقع في الزاوية الجنوبية الغربية للقارة الأسيوية، وهي قريبة من القارة الإفريقية وتواجه القارة الأوربية، وتشرف على الشواطئ الشرقية للبحر المتوسط للبحر المتوسط، وبهذا فهي تتوسط القارات الثلاث وتعتبر همزة وصل بين العديد من الدول، وبوابة تركيا للوطن العربي، وسنحاول توضيح موقع سوريا في نظريات الجيوبوليتيكا: حيث تمثل سوريا الجسر الواقع بين القلب الكبير في وسط آسيا وشرق أوربا، وبين القلب الصغير في وسط إفريقيا والممتد من مصر مرورا ببلاد الشام، وفي

نفس الوقت وسط المنطقة المحورية (الهلال الداخلي الممتد من سهول البلطيق في الشمال الغربي إلى كوريا في الشمال الشرقي) (إبراهيم أحمد سعيد، 2016، ص31). سوريا هي المنطقة الوسطى pivot aria العالمية في نظرية ماكندر[i].

موقع سوريا في نظرية سبيكمان[ii]: احتلت سوريا أهمية كبيرة في نظرية الريملاند الجيوبوليتيكية لسبيكمان؛ حيث يرى سبيكمان أن الريملاند هي منطقة التصادم بين القوى البرية والتي تمثلها منطقة قلب الأرض عند ماكندر وبين القوى البحرية التي تمثل الهلال الخارجي عند ماكندر، وسوريا أيضا المنطقة الوسطى في الريملاند Rimland والممتدة من أوربا الغربية إلى الشرق الأوسط والهند وجنوب وجنوب شرق آسيا. (عبد الرزاق بوزيدي ، 2014،ص33) ومن يسيطر على هذه المنطقة يتحكم بمصير العالم، وهذا ما أعطى سوريا أهمية كبيرة في الجيوبوليتيكا العالمية .

المطلب الثاني : الأهمية الجيوبوليتيكية: عند الحديث عن القوة الجيوبوليتيكية لمنطقة معينة فنحن بصدد دراسة مصادر القوة المادية وغير المادية لهذه المنطقة من منظور جيوبوليتيكي، وسوريا غنية بمقدرات جيوبوليتيكية كانت نعمة ونقمة في آن واحد على هذا البلد حيث تبلغ مساحة سوريا 185180كم^2، وتعد دولة متوسطة المساحة عربيا وصغيرة عالميا، ولكن توفرها على المقدرات الجيوبوليتيكية جعلها من أكبر الدول استقطابا واهتماما في السياسيات العالمية، بل و تعتبر محرك لاستراتيجيات القوى الكبرى في المنطقة المتوسطية والشرق أوسطية. حيث يمثل الموقع الاقتصادي لسوريا همزة وصل بين المناطق الجغرافية التالية:

- العراق في الشرق
- البحر المتوسط في الغرب
- الأردن وفلسطين ولبنان في الجنوب
- تركيا في الشمال (إبراهيم أحمد سعيد، 2016،ص30)

إن هذا الموقع يمتلك أهمية اقتصادية كبيرة في تجارة الترانزيت بين أوربا برا عن طريق تركيا وشبه الجزيرة العربية. وكذلك تشكل سوريا أهمية بالنسبة للفضاءات المجاورة والتي تسمح لسوريا بحرية الأعمال اللوجستية. وكذلك الأهمية الاقتصادية

تكمن بما تحتويه هذه المساحة من موارد طبيعية سطحية من أراض زراعية وتضاريس وتنوع حيوي ومن موارد باطنية كالنفط والغاز والفوسفات وأملاح ومياه جوفية ؛كل هذه المقدرات الجيوبوليتيكية المادية زادت من ثقل سوريا جيوستراتيجيا وكانت منطقة تنافس محموم بين قوى إقليمية وأخرى عالمية راغبة في إحكام السيطرة على الساحة المتوسطية والشرق أوسطية.

المطلب الثالث : الأهمية الثقافية والحضارية لسوريا: سوريا من الدول التي قلما اجتمعت فيها كل المقومات الدينية والحضارية وكانت إلى وقت قريب منبعا للتنوع والتناغم بين الأديان من المسيحية إلى الإسلام واليهودية والتعايش بين العرقيات والإثنيات فنجد الأقلية الكردية في سوريا على خلاف نظيراتها في تركيا وإيران والعراق اندمجت في المجتمع السوري وهذا لتميز الفرد السوري بالهدوء، ولكن المصالح الخارجية حركت من هذه الأقليات وكانت فتيل مظاهرات داخلية تحولت بفعل القوى الخارجية إلى نزاع متعدد الأطراف مازال الشعب السوري يعاني من ويلاته إلى اليوم، فمن سوريا نشأت حضارة الكتابة أي الأبجديات التي لا يماثلها أي عملية إبداعية في تاريخ البشرية ومن هنا كانت البدايات لاستخدام الأرقام والترميز والصفقات التجارية، ومن سوريا كانت ثقافة الانطلاق نحو العوالم الأخرى ومنها انتشرت الديانات السماوية . (جمال واكيم ، 2012،ص33)

هذه المقومات الحضارية كانت عوامل قوة جيوبوليتيكية لسوريا من جهة ،و لعنة التاريخ والجغرافيا من جهة أخرى ،إذ كانت سببا لتنافس دولي عربي وغربي للتدخل من أجل التحكم في هذه المقدرات الحيوية ؛ و هذا بالإعتماد على استراتيجيات متضاربة للتدخل في سوريا ومن بين هذه الدول روسيا الإتحادية التي تريد إحياء الإرث السوفييتي وهذا ما سنحاول توضيحه في المبحث التالي:

المبحث الثاني: دو افع التدخل العسكري الروسي في سوريا ومساراته:

"إن روسيا الإتحادية لا ترى فرقا بين الجماعات السنية و الشيعية ونحن لا نريد التورط في حرب دينية في الصراع السوري" فلاديمير بوتين (وسيم خليل قلعجية ،2016،ص329). هذا ما قاله الرئيس الروسي في بداية الأزمة السورية فما هي الدوافع

والأسباب الحقيقية للتدخل الروسي في سوريا وهذا ما سنحاول توضيحه في هذا المبحث

المطلب الأول : المسوغات الجيوبوليتيكية للتدخل العسكري الروسي في سوريا:

لقد شكلت الأزمة الليبية مجالا خصبا للتدخلات الخارجية، وهذا ما عقد الوضع وأجهز على ما تبقى من مؤسسات الدولة، و هذا ما انطلق من خلاله بوتين وصناع القرار في الكرملن من ضرورة الحفاظ على الدولة السورية وعدم تكرار التجربة الليبية، وبطلب من الرئيس السوري بشار الأسد جاء التدخل العسكري الروسي في سوريا في سبتمبر2015 و كان للدوافع التالية:

الفرع الأول: تأكيد العودة الروسية للساحة الدولية: الأزمة السورية التي تحولت بفعل أطراف داخلية و خارجية إلى نزاع دولي متعدد الأطراف المتعدد الفواعل خلق فرصة سانحة جدا للروس لتحقيق حلم العودة مجددا وبقوة لساحة العلاقات الدولية. إذ يعد التدخل الروسي في سوريا نهاية سبتمبر 2015، امتداد طبيعي وجزء من صراع جيوبوليتيكي واقعي كوني هو الآخر بين الشرق والغرب،(السعيد لوصيف، 2018،ص159). واعتبار روسيا للمنطقة العربية كمكون هام ضمن أي تنافس جيوبوليتيكي مع القوى الغربية، كما أن التعافي الاقتصادي الروسي أسس لعودتها للساحة الدولية، والسعي لتأسيس عالم متعدد الأقطاب، والحد من الهيمنة الأحادية الأمريكية وهذا ما جاء على لسان "بوتين" في اجتماع ميونيخ سنة 2007 حيث انتقد بشدة العالم الأحادي القطب.(السعيد لوصيف،2018،ص160) .

لقد وصفت مجلة التايمز الإتحاد السوفييتي في أعوامه الأخيرة بأنه قوة عظمى صغرت حد التسول كما علقت الأستاذة **أنيتا تيراسبولسكي** Anita tiraspolsky على انسحاب الإتحاد السوفييتي سابقا واختفاء نفوذه من أوربا الشرقية بأنه انهزام جيوسياسي، اقتصادي وثقافي .بل أن الأمريكي ريتشارد بايبRichard Pipe قال إن الجيش الأحمر صاحب المكانة الأولى عالميا قد وجد نفسه مهزوما بطريقة لا مثيل لها في التاريخ، فقد جرت العادة أن تهزم الجيوش في المعارك لكن الجيش الروسي هزم دون حرب.

كل ذلك جعل هنري كيسنجر Henry Kissinger يجزم بأن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين يعلم أن روسيا أضعف من أن تسمح لنفسها بالانطلاق في منافسة استراتيجية مع الولايات المتحدة، ومن هنا ينبع بحثها عن المصالحة و التقارب معنا. (خير الدين شمامة،2016،ص14)

غير أن بوتين ومع مجيئه للحكم في روسيا سنة 1999 اتبع سياسة التحرر من التبعية للولايات المتحدة الأمريكية أو بريطانيا العظمى، وإنما روسيا المستقلة بخصوصيتها الجيوبوليتيكية واختلافها الحضاري عن أوربا، واستمرت روسيا في تقاربها مع الدول العربية، ويبدو أن الأزمة السورية حققت للروس حلم العودة للساحة الدولية.

لقد كان إقناع الرئيس بوتين لنظيره السوري بشار الأسد بوتين لنظيره السوري بشار الأسد بتدمير أسلحته الكيماوية تحت رقابة العالم نجاحا على جميع المستويات، حيث توجه مئات المقاتلين الروس إلى سوريا لمساعدة الجيش السوري، وهذا لأن بوتين يرى أنه في حالة فشل الجيش السوري تتحول سوريا إلى صومال آخر أكثر تعفنا بسبب تخمة السلاح الموجودة في سوريا. (شمامة خير الدين،2016،ص15)

الفرع الثاني : فك الحصار للوصول إلى المياه الدافئة: تعتبر روسيا كتلة برية ضخمة جدا لكنها معزولة عن المياه الدافئة ومحاطة بالمياه المتجمدة، لهذا رأت السياسيات الروسية ضرورة فك هذا الحصار الطبيعي وإقامة علاقات صديقة مع الدول ذات الموقع الجيوبوليتيكي بالنسبة لروسيا،وتعد وسوريا من بين الدول التي وقعت ضحية التاريخ و الجغرافيا. كما أن الولايات المتحدة تريد محاصرة روسيا وهذا بتوسيع حلف الناتو إلى دول أوربا الشرقية، دول البلطيق وأوكرانيا، و فضلا عن ذلك اعترفت الولايات المتحدة باستقلال كوسوفو 2008 وساعدت جورجيا وأوكرانيا كما نشرت قواعد صواريخ في بولونيا وتشيكيا. كما يدخل ضمن المحاصرة تحالف الولايات المتحدة مع الدول الأوربية داخل مجلس الأمن ، مثل هذا الإدعاء بوجود محاصرة أكده الوزير الأول الروسي ديمتري ميدفيدف في قمة ميونيخ حول سياسة الإتحاد الأوربي في تدعيم الشراكة مع الجمهوريات السوفييتية السابقة في ألمانيا فيفري 2016 حيث أعلن أن الغرب أنشا حزام إقصاء لروسيا.(شمامة خير الدين ،2016،ص17).

ولهذا جاء التدخل الروسي في سوريا ليكون رسالة للولايات المتحدة أو أوربا بأن روسيا القادرة على حماية مصالحها في الخارج البعيد لن تكون عاجزة عن حماية مصالحها و نفوذها لدى الخارج القريب (أوكرانيا).

وفي إطار البحث عن فك الحصار و الوصول للمياه الدافئة يقول بيير بيارنيس Pierre Biarnesبأنه يرى أن التاريخ الروسي حركه دائما هدفان إرادة قوية في التقدم والنمو لتجاوز الخصم أوربا والولايات المتحدة فيما بعد وطموح إلى مد الحدود إلى أبعد حد ممكن باتجاه المياه الدافئة ؛ البلطيق وبحر الشمال والبحر الأسود، بل أبعد من ذلك باتجاه البحر المتوسط .(Piere Biiernes,1998,p18)

و هذا ما يفسر السرعة التي غادرت بها القوات العسكرية الروسية باتجاه سوريا فمجرد موافقة الغرفة العليا للبرلمان الروسي على إمكانية استعمال القوات العسكرية خارج روسيا في سبتمبر 2015 بدأ التحليق للطائرات الروسية فوق حماه وحمص.

الفرع الثالث: الحفاظ على المصالح الجيوبوليتيكية الروسية في المنطقة:اتخذت روسيا قرارها الاستراتيجي في الدفاع عن النظام السوري معتبرة إياه حلقة مهمة في حليفها مع المحور الشيعي الذي يضم إيران وحزب الله ونظام الأسد والحكومة العراقية التي تمتد بولائها إلى إيران، واعتبرت موسكو أن معركة دمشق هي معركة موسكو، وذلك من منطق أن استمرار الأزمة يعني وصول الإسلاميين إلى السلطة وهذا ما يكون لذلك انعكاسات إقليمية وعالمية خطيرة؛ فمن جهة سيأتي دور النظام الشمولي في إيران، واحتمال انهيار حكم الشيعة ، مما يؤدي إلى الانتقال الإسلامي لدول آسيا الوسطي.(معتز عبد القادر محمد الجبوري ،2016،ص51). حيث تمثل هذه الكتلة الجيوبوليتيكة خاصرة رخوة للأمن القومي الروسي و تهديدا أمنيا للحدود الجنوبية لروسيا.

كذلك من بين المسوغات الجيوبوليتيكية للتدخل الروسي في سوريا هو الحفاظ على سوق السلاح الروسي الرائج، إذ شكل نصيب سوريا من تجارة روسيا العسكرية حوالي 7% عام 2010 و التي بلغت 70 مليون دولار ، كما أن سوريا متعاقدة مع روسيا على صفقات عسكرية بقيمة 4 مليار دولار حتى عام 2013 منها 96 مليون دولار عام

2011 و حوالي 550 مليون دولار عام 2012؛ و هذا طبقا لمركز تحليل الاستراتيجيات و التكنولوجيا في موسكو.(معتز عبد القادر محمد الجبوري ،2016،ص52).

كما أن سعي روسيا للتمسك بمكانتها كعملاق في حقل الطاقة من أهم المصالح البارزة لروسيا في النزاع السوري ، فهي تروم إلى منع المنافسين الكبار من مزاحمتها اقتصاديا و استراتيجيا ، و تعتقد أن قطاع الطاقة قد يحقق لها مكانة لم تتمكن من تحقيقها عبر القوة العسكرية و المنافسة مع الغرب.(أحمد سعيد نوفل و آخرون،2014 ص317). حيث يمثل التنافس الدولي على خطوط النفط و الغاز من الدول المطلة على الخليج العربي ،أحد المحددات المهمة للتدخل الروسي في سوريا ، فهي تخشى أن يؤدي سقوط النظام السوري إلى زعزعة مكانتها المهيمنة على سوق الغاز الأوربية ،لاحتمال مد الغاز القطري عبر السعودية و سوريا مرورا بتركيا ، و هذا ما من شانه أن يحرم موسكو من ورقة رابحة استراتيجيا و اقتصاديا.(أحمد سعيد نوفل و آخرون،2014،ص318).

من خلال محاولة تحليل أسباب ومسوغات التدخل الروسي في سوريا؛ نلاحظ أن بقاء النظام السوري هو نفوذ جيوستراتيجي لروسيا حتى لو كان هذا النظام ضعيف أو فاقد للشرعية، بمعنى روسيا العائدة بقوة للساحة الدولية بمنطق الجيوبوليتيكا تعمل على حماية مصالحها ونفوذها في سوريا ومن ثمة منطقة الشرق الأوسط ككل تداركا للفراغ الاستراتيجي الذي تركته للولايات المتحدة و نتج عنه احتلال العراق أفغانستان وكانت له تداعيات على روسيا أمنيا وسياسيا.

المطلب الثاني : مسارات التدخل الروسي في سوريا: لقد كانت السياسة الروسية تجاه النزاع السوري واضحة من البداية وهذا بالعمل على إيقاف القرارات الأممية للتدخل في سوريا لحماية حقوق الإنسان حيث استعملت؛ حق الفيتو مرتين مع الصين بالإضافة إلى دعمها للنظام السوري في مفاوضات جنيف 1 و2 ،ثم محاولة خلق مبادرات لحل الأزمة وذلك في مفاوضات موسكو 1،2 ومن ثمة جنيف 3 في جانفي 2015 وبعد هذه الجهود الدبلوماسية للتسوية السلمية للملف السوري مع الدعم اللوجستي للنظام . (أحمد عامر كامل،87،2015) بدأ التدخل العسكري الروسي عمليا في سوريا في 30سبتمبر 2015وذلك بحجة مواجهة التنظيمات الإرهابية (تنظيم

الدولة الإسلامية داعش) حيث قام سلاحها الجوي بشن غارات تركزت على الفصائل المسلحة التي تقاتل النظام السوري(أحمد عامر كامل،2015،ص97)

و قد جاءت هذه العمليات كتلبية رسمية روسية لطلب النظام سوري بالتدخل العسكري لمواجهة الجماعات الإرهابية، وهو الحدث الذي جاء كخطوة تصعيدية طورت بها روسيا تدخلها على خط الأزمة المتصاعدة في سوريا، حيث استغلت موسكو فشل التحالف الدولي في تحقيق نتائج ملموسة للقضاء على تنظيم الدولة الإسلامية، رغم مرور عام على غارات التحالف.

وقد سبقت روسيا هذا التدخل العسكري المباشر بتعزيز قواتها العسكرية في سوريا بصورة ملحوظة

بداية من ربيع 2015، أما العمليات العسكرية الجوية، فاستهدفت أغلب طلعاتها مناطق وعناصر المعارضة المسلحة على خطوط القتال مع النظام، مع ضربات ضد تنظيم الدولة الإسلامية الذي يسيطر على مناطق واسعة في شمال ووسط سوريا، ويعد هذا التدخل تطورا مهما في الموقف الروسي منذ بداية الأزمة السورية.(أبو القاسم محمود حمدي،http://www.acrseg.org/39596)

حققت مجموعة القوات الجوية الروسية المتمركزة في مطار حميميم القريب من ميناء اللاذقية السوري، في الفترة ما بين 30 سبتمبر إلى 05 أكتوبر 2015 أكثر من 100 طلعة جوية، استهدفت مهاجمة الجماعات المدعومة من الولايات المتحدة، الدول العربية، و تركيا.وهذه العمليات الجوية هي تمهيد لعمليات برية واسعة للجيش السوري وتركيا الهدف منها توسيع دائرة النفوذ السوري على المجال الأرضي في الجزء الشمال الغربي للبلاد، ومنافسة روسيا للتحالف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة . (Maria Domańska and Witold Rodkiewicz , http://www.osw.waw.pl/en/publikacje/analyses)

توقيع موسكو لاتفاقية تسمح لها بتأسيس قاعدة حميميم الجوية في محافظة اللاذقية ، ثم على مدار عام لاحق قامت روسيا بالمصادقة في شهر أكتوبر 2016 من أجل السيطرة الدائمة على القاعدة الجوية و إبقاء قواتها الجوية فيها بصورة دائمة ، هذه المعاهدة التي تدوم أربعين سنة تسمح لروسيا بان يكون لها القاعدة الجوية و

السيطرة على الأرض أيضا. , Maria Domańska and Witold Rodkiewicz)
http://www.osw.waw.pl/en/publikacje/analyses/)

المبحث الثالث: تداعيات التدخل العسكري الروسي في سوريا :

تمثل سوريا مجالا جيوبوليتيكيا حيويا للقوى الكبرى في العالم(أمريكا، روسيا، الصين، بريطانيا، ألمانيا،فرنسا) تداخلت فيه من المصالح و مراكز النفوذ، ما جعلها حلبة نزاع سياسي -عسكري لهذا كان للتدخل الروسي تداعيات على عدة مستويات محلية وإقليمية وعالمية نوردها كما يلي :

المطلب الأول: التداعيات المحلية: بعد الهزائم التي عانى منها النظام السوري خاصة في سنة 2014 بظهور تنظيم داعش و تراجع النفوذ و السيطرة على الأرض جاء التدخل الروسي ليعزز القوة النارية و الدعم الجوي و الفاعلية القتالية لصالح النظام ؛ حيث تمكن النظام باستعادة مناطق في الشمال الغربي للبلاد . Jeffrey) white,2015,p2)

ولم يقتصر الموقف الروسي في سوريا على مواقف وتصريحات الساسة والقادة العسكريين داخل الميدان بل تعدت ذلك وأصبحت تتدخل في تحديد معالمه عوامل أخرى من خارجه، تفرض نفسها بشكل منسق جدا ودقيق الحركة يذكي على تدخلاتها قيمة عملية مضافة، وتمكن من تحقيق نقاط تحسب لفائدة الطرف الذي يجيد استخدامها في الزمان والمكان المناسبين وهو الوضع المتقدم لروسيا في صنع القرار العسكري و السياسي في سوريا. (العربي بجيجة،2017،ص12)

كان للتدخل الروسي العسكري المباشر على الأرض تداعيات على الداخل السوري ؛أين تغيرت المعادلة على أرض الواقع و منح التدخل الروسي النظام السوري ميزة حاسمة عمليا؛ حيث ساعد التدخل العسكري الروسي النظام السوري في السيطرة على مراكز حيوية أو بسط نفوذه عليها واستنزاف موارد المعارضة البشرية والعسكرية استنزافاً مضاعفاً. وقد يساهم تواجد روسيا على أرض المعركة في رفع معنويات قوات النظام بصورة ملحوظة.(Jeffrey white,2015,p2)

لابد من الإعتراف علنا أن التدخل الروسي في سوريا غير مجرى الصراع السوري و قد أحدث هذا التدخل تغييرا على قواعد اللعبة السياسية سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي . (وسيم قلعجية،ص336)

المطلب الثاني :التداعيات الإقليمية : لقد كان للتدخل العسكري الروسي في سوريا سنة 2015 انعكاسات و تداعيات على القوى الإقليمية المنخرطة في النزاع السوري ؛ فالمملكة العربية السعودية اعتبرت التدخل الروسي في سوريا تحد لها، في ضوء تعاونه مع إيران ، و هذا ما قاله وزير الخارجية السعودية في خطابه أما م الجمعية العامة للأمم المتحدة، كما حشدت الآلة الإعلامية السعودية و الخارجية لتوحيد مواقفها و مد المعارضة السورية بالدعم اللوجستي و الإعلامي.إذ وصف بيان لعلماء الدين السعودي التدخل حلف روسي صفوي ضد أهل السنة و اعتبارها حرب هوية و عقيدة (Jeffrey white,2015,p2)

تركيا: كانت تركيا ضد التدخل الروسي في سوريا لأنها تعتقد مثل هذا العمل قد يكون له عواقب ضارة غير متوقعة ودعت تركيا دعم إنشاء منطقة حظر جوي/عازلة في شمال سوريا لإنشاء بيئة آمنة للاجئين وتعزيز أمن

الحدود في تركيا (Zenonas Tziarras, 2012,p134). لأن التدخل العسكري لم يقتصر في سوريا على المجال الجغرافي لسوريا فحسب، فقد امتد اختراق الطائرات الروسية في سورية للمجال الجوي التركي، والتحرشات التي تعرّضت لها المقاتلات التركية من قبل الروس، وهو ما أدى بالرئيس التركي رجب طيب أردوغان الى تحذير روسيا، من إمكانية "خسارة" صداقة تركيا. وبرز الحديث عن أن الخرق الروسي للمجال الجوي التركي،(فتيحة فرقاني ،2015،ص1) ، و من تداعيات التدخل العسكري الروسي في سوريا على تركيا ما يلي :

.1 : تعقيد مطلب تركيا بإقامة منطقة آمنة شمال سوريا

اعتبرت تركيا بأن أحد أهم أهداف التدخل العسكري الروسي هو منع إقامة منطقة أمنية عازلة طالبت بها، منذ بدايات الأزمة السورية لتمكين المعارضة من تنظيم صفوفها و إقامة منطقة حظر جوي لحمايتها من نظام الأسد و حاولت إقناع الناتو

بذلك لكن دخول روسيا على الخط عقد الأمر أمام المطلب التركي .(فتيحة فرقاني ،2015،ص3)

2: كيفية تقديم تركيا الدعم العسكري والبشري للمعارضة السورية

زادت خشية القيادة التركية أن يؤدي دعمها المباشر للفصائل المسلحة إلى حدوث تصادم بين الجانبين الروسي والتركي، خاصة بعد توجيه موسكو تحذيرا شديد اللهجة إلى أنقرة من أن الطيران الروسي سيقصف كل المراكز التي يمر عبرها المقاتلون الأجانب في حال سمحت الحكومة التركية لمقاتلين بعبور الحدود نحو سوريا . .

هذا إذا أضفنا حقيقة أنّ العمليات العسكرية لموسكو لا تستهدف بالتأكيد داعش، وإنما الفصائل الأخرى التي كانت في الأصل السبب الرئيسي في إضعاف نظام الأسد إلى حد الانهيار وهو ما جعله يستنجد بالتدخل العسكري الروسي. (فتيحة فرقاني ، 2015، ص4).

3 :طريقة التعامل مع حزب العمال الكردستاني

أصبح هذا الحزب يشكل تحديا كبيرا للقيادة التركية، وفرض نفسه كلاعب مهم في معادلة حل النزاع في سوريا، حيث طلب المشاركة في العمليات العسكرية الروسية، وأصبح بذلك حليفا للولايات المتحدة وروسيا على السواء. من شأن هذا الأمر تعظيم خطر الصعود الكردي الذي يتطلع إلى ربط المناطق الكردية من أقصى الشمال إلى أقصى الشرق تطلعا إلى إقامة إقليم كردي في تركيا يحكمه حزب العمال الكردستاني.(Jeffrey white,2015,p2)

و ما نلاحظه أن التدخل العسكري الروسي في سوريا عمل على تقزيم الدور التركي في النزاع السوري .

كما أنه من تداعيات التدخل العسكري الروسي في سوريا في منطقة الشرق الأوسط ؛بدأ الترسيخ للبعد الدولي إقليميا وعالميا للصراعات المحلية بصورة أكثر اندفاعا و هي نتيجة سياسية عميقة تفيض على حدود الجغرافيا السورية و الصراعات فيها و عليها. ترسيخ فكرة تدويل الصراعات في منطقة الشرق الأوسط

حيث لم تعد الصراعات في المنطقة حكرا على القوى الإقليمة الثلاث إيران ، تركيا و السعودية (وسيم قلعجية، 2016،ص330)

المطلب الثالث: التداعيات العالمية: روسيا باتخاذها قرار التدخل في سوريا كانت لها أسباب داخلية وأخرى خارجية منها منافسة الولايات المتحدة والعالم الغربي ككل في السيطرة على مجالات النفوذ القريبة والبعيدة جغرافيا عن طريق خلق عالم متعدد الأقطاب ؛ و لهذا كان لتدخلها في سوريا تداعيات على الغرب حيث لم تفلح الحسابات التكتيكية لصالح الغرب و حلفائها بالمنطقة عبر تدريب كتائب المعارضة السورية ودعمها سياسيا بشكل كامل وعسكريا بشكل جزئي. (العربي بجيحة،2017، ص16)

لقد ساهمت الأزمة السورية -التي تحولت بفعل قوى داخلية و خارجية إلى نزاع دولي مسلح- في منح روسيا وضعا متقدما في صناعة القرار السوري العسكري و السياسي إذ خولها اتخاذ مبادرات من شأنها جمع أطراف الأزمة السورية على طاولة مفاوضات واحدة للتداول بما من شأنه إنهاء الصراع الدائر لما يقارب خمس سنوات في الجبهتين العسكرية والسياسية .ويستمد التدخل الروسي في الأزمة السورية قوته من النفوذ الذي أصبحت تتمتع به في الشرق الأوسط، الذي مكنها من تبوء مكانة بارزة خولتها القدرة على تقديم الحلول التي تراها مناسبة وتتوافق مع مصالحها ومصالح شركائها بالمنطقة (بجيحة العربي،2017، ص16). يوحي هذا التدخل المباشر بشكل جلي وواضح في الأزمة السورية، إلى مستوى التصدع في العلاقات بين روسيا و الغرب و هذا ما كشفه الإنزال المكثف للجيش الروسي معززا بآلياته العسكرية وأجهزة الرصد والمراقبة المتطورة ، وتعمل روسيا من خلال هذا الإنزال على توجيه رسالة للمعنيين المباشرين بحضورها داخل المشهد السياسي للمنطقة كقوة صاحبة قرار وغير قابلة للتفريط في مصالحها أو التراجع عن مواقفها.

كما أنه من تداعيات التدخل العسكري الروسي في سوريا تبادل الأدوار بين القوى الكبرى العالمية على المناطق الساخنة في العالم تلعب الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا عملية لتبادل الأدوار، بتعاطيهما المحكم مع الشأن السياسي في العديد من

المناطق الساخنة عبر العالم، خاصة في منطقة الشرق الأوسط، شبه الجزيرة الكورية، منطقة شمال أفريقيا، أوكرانيا...، وذلك لتأكيد حضورهم في الساحة السياسية، الاقتصادية والعسكرية، ومن ثم الحفاظ على مصالحهم بهذه المناطق (Angela Stent,2016; p109).

وإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تشرع في الانسحاب من منطقة الشرق الأوسط في اتجاه منطقتي أسيا وشمال أفريقيا بكيفية هادئة، بما يمكنها من توريث تركتها الثقيلة من الاتفاقيات التجارية الثقيلة، والعلاقات السياسية ، في مقابل سلسلة من الانكسارات العسكرية المتواصلة خلال العقدين الآخرين، إلى حارس أمين يحصنها ويضمن عدم المساس بها من أي طرف من الأطراف المستفيدة من الوضع أو الطامعة في الاستفادة منه، فإن روسيا تتأهب للإنخراط في أي مشروع في المنطsقة توسيعا لنفوذها ة تعزيزا لحضورها. .(Angela Stent,2016; p111)

الخاتمة:

من خلال دراسة موضوع التدخل العسكري الروسي في سوريا نصل إلى النتائج التي نوردها على النحو التالي:

- تحتل سوريا موقعا استراتيجيا في السياسيات الدولية الرامية الهيمنة على مجالات النفوذ و منها

روسيا الإتحادية العائدة بقوة للساحة للدولية ، فسوريا بمقدراتها الجيوبوليتيكية المادية وغير المادية جعلت من روسيا تتخذ سياسة لا مجال للتراجع عن الموقف واعتبار سوريا قضية تحدي للوجود الروسي في الشرق الأوسط.

- نقمة التاريخ والجغرافيا كانت حاضرة في الأزمة السورية التي بفعل الجيوبوليتيكا السورية و الفواعل الداخلية و الخارجية تحولت إلى حلبة نزاع دامي متعدد الأبعاد و الفواعل .
- كان الموقف الروسي منذ بداية الأزمة داعما للنظام السوري الحليف ، بحجة عدم تكرار سيناريو ليبيا و وقوع الدولة في حالة الفوضى و الإنهيار

- حاولت روسيا عبر تدخلاتها في سوريا تغطية مصالحها بالجانب الإنساني و مبدأ مساعدة الدول في مكافحة الإرهاب و هذا بزعمها استهداف معاقل و مراكز تنظيم داعش إلا أن المدنيين ذاقوا ويلات التدخل العسكري المباشر في سوريا منذ سبتمبر 2015. أبان التدخل الروسي في سوريا عن درجة التفاعلات الدولية الإقليمية و العالمية في الأزمات الداخلية للدول من أجل المصالح الحيوية للقوى الكبرى ، و هذا ما يؤدي غالبا إلى تدويل الأزمات و إخراجها من بعدها الداخلي
- التدخل الروسي في سوريا أحدث تداعيات وانعكاسات في هيكلة النظام الدولي السائر في إطار التشكل حيث تموقعت روسيا والصين في مواجهة الحلف الأمريكي الأوربي و هذا للتخفيف من حدة الأحادية القطبية الأمريكية منذ نهاية الحرب الباردة ، كما سجل التدخل الروسي في سوريا ومنه إلى منطقة الشرق الأوسط تراجعا للوجود الأمريكي في المنطقة في شبه اتفاق ضمني بتقسيم مناطق النفوذ الجيوبوليتيكية بين القوى الكبرى.

الهوامش و الإحالات

1. To Think Tanks Index Report" p32.

---

[i] Halford Jhon Mackinder (1861-1947) الجيوبوليتيكي البريطاني الأكثر شهرة عرف بنظريته قلب الأرض أو القوة البرية وركز على المنطقة التي سماها القلب الأرضي وتشمل الأوراسيا من أهم كتبه المحور الجغرافي للتاريخ نشر سنة 1904 .

[ii] سبيكمانNicolas Spykman(1861-1947) رجل البحرية الأمريكي لم يستعمل مصطلح الجيوبوليتيكا لكن أعماله تستند للتحليل الجيوبوليتيكي، ركز في تحليله على أهمية منطقة الإطار الهامشي أو الحافة الأرضية rimland المحيطة بالقلب الأرضي لماكندر وتشمل أوربا الغربية والشرق الأوسط والهند وجنوب شرق آسيا.

قائمة المراجع:

باللغة العربية:

الكتب:

- إبراهيم أحمد سعيد ، (2016)الجيوبوليتيك السوري وقوة الجغرافيا السياسية السورية، دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب.

- بجيحة العربي ،(2017) شذرات من الصراع الجيوستراتيجي في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ، ط1،برلين، ألمانيا: المركز العربي الديمقراطي.

- قلعجية وسيم خليل ، (2016)، روسيا الأوراسية في زمن الرئيس فلاديمير بوتين،ط1، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.

- واكيم جمال ،(2016)، صراع القوى الكبرى على سوريا الأبعاد الجيوسياسية لأزمة، ط1، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

- نوفل أحمد سعيد و آخرون،(2014)، التداعيات الجيوسياسية للثورات العربية ،ط1، بيروت، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات.

الأطروحات و المذكرات:

- بوزيدي عبد الرزاق ،(2016) "التنافس الأمريكي الروسي في منطقة الشرق الأوسط: دراسة حالة الأزمة السورية" 2010 /2014، (مذكرة ماجستير في العلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، جامعة بسكرة، الجزائر.

المقالات العلمية:

- الجبوري معتز عبد القادر محمد ،(2016)، التفاعلات الدولية إزاء الأزمة السورية، مجلة جيل الدراسات السياسية والعلاقات الدولية، العدد الخامس الجزائر.

- خير الدين شامة ،(2016)، أبعاد التدخل العسكري في سوريا، المجلة الجزائرية للأمن الإنساني ، العدد الأول، باتنة، الجزائر.

- فرقاني فتيحة ، (2015)، تداعيات التدخل العسكري الروسي في سوريا على تركيا، المعهد المصري للدراسات السياسية و الاستراتيجية ، مصر.

- كامل أحمد عامر ،(2015)، التدخل الروسي في سوريا، مركز الدراسات الاستراتيجية و الدولية، بغداد.

- لوصيف السعيد ،(2018)، جيوبوليتيك السياسة الخارجية الروسية تجاه المنطقة العربية : قراءة في القدرة التفسيرية للنظرية الواقعية ، المجلة الجزائرية للأمن و التنمية ، العدد13، باتنة: الجزائر.

المو اقع الإلكترونية:

- محمود حمدي أبو القاسم، تداعيات خطرة: أبعاد التدخل الروسي في سوريا من الموقع http://www.acrseg.org/39596تم تصفح الموقع يوم 2019/3/23.

باللغات الأجنبية:

- Pierre Biarnes,(1998) , le 19 siécle ne sera pas American, édition du roches, paris .
- Angela Stent,(2016), Putin's Power Play in Syria How to Respond to Russia's Intervention,foreign affair's .
- Jeffrey White,(2015), **Russia in Syria (Part 2): Military Implications,** Copyright 2020 The Washington Institute - printed with permission,
- Maria Domańska and Witold Rodkiewicz, "The Russian operation in Syria: an offer or a blackmail?,"

http://www.osw.waw.pl/en/publikacje/analyses/2015-10-07/russian-operation-syria-offer-or-a-black